الباب الثالث:

خبز الغلابة
وموال الرصيف
وناى الوجع

obeikan.com

تراسل الحواس واستدعاء الواقع

عند فوزي عيسى ووطن هربان من الأجرة

في (حبة هدوء)

مما لا شك فيه أن قصيدة الشعر العامي هي نبض الوطن الحقيقي وموالـه الشادي في الآونة الأخيرة، وأصبح الشعر العامي بلا مبالغة رغيف عيش الفقراء ورداءهم الذي يستدفئون به عندما يزيد عليهم برد الوجع، وبعيدا عن المعارك الأدبية الحادة من أن الشعرالعامي يساعد على تغريب العربية وضياعها بين أبنائها، وذلك وهم خاطئ، لأن العربية محفوظة بحفظ كتابها المقدس وسنة رسوله (صلى الله عليه و سلام)، وليس بصحيح قول بعضهم إن ما أبرز شعر العامية المصرية وجعله مزاحما للفصيح إلا ضعف شعراء الفصيح أنفسهم وتغريبهم للشعر بضعف تناولهم، وإن كان لهذا الاتهام نصيب كبير من الصحة، ولكن ما ساعد على أن يحلق شعر العامية في سماواتٍ أبعد من الفصيح أنه اصبح النافذة الأكثر تعبيرا عن هموم وأوجاع وأحلام الإنسان البسيط والمثقف على السواء وليس المصري فقط بل العربي عامة، لما للهجة المصرية من مكانة كبيرة لدى

الشعوب العربية بفضل الإعلام وأفلام الزمن الجميل ونبوغ شعراء العامية المصرية الذين هم على قدر من الموهبة الفذة والثقافة الواسعة.
وقد استطاع شعر العامية المصرية أن يفك رمز الغربة ويهدم حوائط التغريب والهجر بين المتلقى العادي وبين الشعر ومتعة تذوقه، والفضل يرجع إلى شعراء جيل استطاعوا أن يكونوا لسان حال الشعب والمعبر عن آلامه، بلغتهم البسيطة ونسجهم للصورة الشعرية المبهرة والابتكارية التي كثيراً ما يعجز عنها أبناء الفصيح - وليس الفصيح بعاجز - الذين يدورون في فلك شعر العصور الخوالي ولم يقدموا صورة ابتكارية للمعاني الإنسانية ويتماشون مع العصر وثراء النفس، بل يكررون نفس المعاني بلا إبداع أو ابتكار إلا في النظم والتفاخر بأنهم يكتبون على البحور الصعبة، ويكتبون قافية صعبة لا يقدر عليها إلا المتبحرين في علم الشعر - إلا من رحم ربي - وكأن الشعر صار كهنوتا وميدانا للمبارزة الأكاديمية فقط، وليس تعبيرا عن نبض ووجع ورؤية استشرافية وبساطة في اللغة والأسلوب، وهذا ما ارتقى إليه وبسلاسة شعراؤنا الأفذاذ في رحاب العامية المصرية الثرية والعميقة بمردافات فصيحة المتن عامية النطق، وقد استطاعوا أن يحلقوا بعيدا جدا بالمتلقى في عوالم من الشاعرية الراقية..

ومن هؤلاء الشعراء الحقيقيين الذي يكتبون الفصيح فيبدعون، ويتغنون بالعامي فيبهرون، الشاعر فوي عيسى، ذلك الشاعر المقتول على باب وطن يسفح دمه ويستبيحه كل يوم بلا رفق أو شفقة، فهو الوطن والمواطن في قصيدة بها كل جماليات الشعر العامي بأناقة وشياكة الفصيح مع الابتكار في الصور والاسترسال في رصد مواقف الواقع المصري والعربي المستباح على رصيف المادية الشنيعة وجها وقلبا.

(حبة هدوء)، قصيدة تراسل الحواس واستدعاء بعض المواقف الحياتية التى يمر بها المواطن والوطن يوميا، يرصدها فوزي عيسى بقلب مواطن مقتول بعشق الوطن، وعقل فيلسوف حكيم، ولفظ خبير بمعجم الفصيح باقتدار، فتلك القصيدة، فنجان قهوة في هدأة الليل، مع مواطن يدعوك لترتشف معه وجبة شجن تجعلك تتنفس الصعداء بتنهيدة طويلة تخرج من بين ضلوعك لتشعر بعدها بهدوء عميق، وتلك رسالة الفن الهادف كما قال أرسطو "أعطني حبا ومسرحا أعطيك شعبا راقيا "، فالفن الحقيقي ناهيك عن أنه رصد للواقع، فهو المطهر للنفس في لحظة صفاء ومتعة فكرية تنقى النفس ولو لساعات ليخرج ما بها من أحزان.

يعتمد فوزي عيسى على نظام المقاطع المفككة التى

تقوم على عدة مشاهد متفرقة من الحياة اليومية، رصدا للواقع في صورة شعرية كلية مبهرة، معتمداً على خيط درامي متنامي بتنامي لحظة استدعاء داخلي لأوجاع الشاعر الذي يدخل رويدا رويدا لعالمه الداخلي الخاص بطريقة هندسة القصيدة المفككة:

فى الشارع المقفول
سيّبت من إيدي الحمام
ووقفت أستنّى البراح
.....
فين رُحت يادي الحمام
ونسيت؟!

فمنذ الجملة الأولى يصدمك فوزي عيسى بالجملة الافتتاحية (في الشارع المقفول)، ليستخدم لغة المفارقات الجميلة، شارع ومقفول، يا لكم الوجع والانهزامية والانكسار منذ اللحظة الأولى! وكأنه يأبى إلا أن يدخلك سريعا إلى حضرة النزف والوجع، شارع مقفول، إنه شارع الوطن البراح الذي يغلق في عين عشاقه ومريديه سبل الخروج إلى البراح فيه، وبالطبع تكون النتيجة الحتمية (سيبت من إيدي الحمام)، حلم الروح وحلم البراءة و الإنسانية البريئة والحرية، وهو حال أي مواطن إنسان ينتظر البراح،

براح الحلم والحرية والعيش الكريم، ولكن قد نسي حلمه في زحمة الواقع و آلة الدنيا التى تقتل الأحلام في وطن صار شارعا مقفولا وبقسوة.
ولكنه الفلاح المصري الحامل لجينات التمرد، ولد شقي لا يستسلم بل يكون القط الذي يقفز من مكان إلى مكان فوق الحواجز ساعيا خلف حلمه، محاولا تخطي كل أسوار سجن الوطن ليصل إلى عالمه، صانعا وطنه الذي يحلم به :

قُط بينط
نطيت من على سور لسه مبني جديد
وزرعت حبة ضل
لسه النهار بيطل
والشمس فوق الأرصفه بتسيح
شوك الزمن راكب على المراجيح
شَبَك الأسى ف كعوبي
ما اتهديت.

إنه المواطن البسيط الذي برغم همومه اليوميه وجزعه أمام ضغوط الواقع إلا أنه يأبى إلا أن يترك بصمة حب وخير في كل مكان، وأثراً يعبر عن طيبته وبساطته (وزرعت حبة ضل)، ثم يأخذك إلى عالمك أنت أيها المتلقي الكريم الذي هو حاله في (شوك الزمن راكب على المراجيح) ليكن لسانك أنت في

التعبير عن جراحك الدائمة، وكأنك أنت المتحدث، فالشاعر المعجون بهموم المواطن رسول عنك وإليك، ولترى معي تنامي الخيط الدرامي واللغوي منذ البداية (قط، سور، زرعت،النهار، شوك الزمن، مراجيح، كعوبي، ما اتهديت) .. لغة تتحدث وبفصاحة عما يعانيه ويكابده، ليس فوزي عيسى خاصة، بل كل إنسان يحيا في رحاب الوطن وإن شئت كل مواطن يحيا بين جنبات هذا الكون، ومن هنا تكن عالمية العمل الأدبي، فصدق التجربة الذاتية تخرج بالعمل من حيز المحلية الضيقة إلى براح العالمية الإنسانية بصدق التعبير عما يعاني من قضايا إنسانية. وبعد تلك المقدمة الجامعة يأخذك إلى حيث تفاصيل المعاناة اليومية للإنسان، فيلجأ إلى أسلوب التفصيل بعد الإجمال ويبدأ في رصد تلك المشاهد الحياتية المعاشة:

ورجعت تاني البيت
مخنوق من الأيام
م الساسه والحكام
من بابا جَه يا هشام
ومن مادا ومن ميدو
ومن كل اللى بنريدُه
دلدقت حبة حزن ع الكنبه
آخر حدود الذاكره بتمر من جرنان قديم
على ناصية الشارع

ولد نايم وحاضن سكته التايهه
على سلم الأتوبيس
شفت الوطن هربان من الأجره
عمّال بيحسب إيه اللي يجرَى
لو عينين الكمساري
قفشت عينيه.

المشهد الأول: مواطن يعود إلى بيته، السكن والراحة والمكان، ولكن تأبى الهموم أن تتركه، فهو المُحمل بكل هموم الدنيا ورتابة الأيام وكأن همه لا يفارقه حتى داخل جدران ذاكرته (الساسة الحكام، بابا جه يا هشام)، رتابة العيش وتسلط هموم الحياة من الساسة والحكام، ورتابة الحياة الأسرية التى أكلت براح الروح وحولت إنسانه إلى جسد بلا روح داخل بيته، وهنا نرى الترتيب المنطقي للأحداث، فرتابة الحياة سببها ما يدرو فيه المواطن الذي أصبح يلهث دوما وراء لقمة العيش، فانقطعت الصلة الروحية بينه وبين عالمه، الأسرة والحب والجلوس معهم ليعمق روح الحب والانصهار العاطفي بينه وبين الحياة، وما هذا التغريب إلا نتاج تجبر الساسة وظلم الحكام، فما بالك إن كانت تلك الروح روح شاعر؟!
وتأتي اللقطة الصادمة التى لا يستطيع أن يلتقط أبعادها الشعرية الجميلة إلا عين شاعر يعاني حد

النزف فيجسد المعنوي ويحوله الى واقع مادي محسوس وفي منتهى الشاعرية والوجع (على سلم الأتوبيس - شفت الوطن هربان من الأجرة).
نعم إنه التصوير الدرامي لحالة وطن بكامله يتشعبط على باب الأتوبيس في قمة الذل والمعاناة الدامية والقهر، إنها الصورة الصادقة الصادمة للوطن، الذي لا يستطيع التعبير عنها وبتلك الصورة الدرامية إلا شاعر مسكون بحب الوطن والمواطن والشعر، وأجمل ما في الصورة التحليل النفسي لمعنى الخوف والرعب من الوقوع في يد السلطة المحتكرة لكل شئ، بعدما فرضت عليه الجوع والفقر ودفعته إلى الهروب والتزويغ من دفع ثمن تذكرة لم يعد قادرا عليها، فيحيلك إلى عينيه لترى كم الخوف والقهر والرعب، فهو الشاعر العارف ببواطن الإحساس النفسي وجماليات الشعر الحقيقي.
ثم ينتقل إلى مشهد ثان يحيلك إلى حياة ذلك المواطف داخل بيته، فهو المحبط المحاصر بالجوع والعجز، المهزوم في كل مكان، الذي يأبي الهم والوطن أن يفارقاه لحظة، فيجلس شاردا بعيدا جدا، غريبا ومهزوما من وطنه الذي يعشقه ولكنه صار السجن والسجان. فبعين المخرج المحترف ينتقل بك من خلال كاميرته الشعرية إلى مشهد درامي آخر:

شم الوجع

ريحة السهر ووعيت
إن الليالي قد أوقاتها
إن المواسم تنسى اللي بيفوتها
إن الهموم مش هيّ آخر سكن
طَنّ الطنين ف القلب واتمدد
زي الرحيل لبعيد
زي الشهيد ساعة طلوع الروح
خُدني منين ماتروح
يا راكب النور اللي ماوطاش
أحلامي لسه طشاش
والسكه ماتوديش.

ويأبى المواطن فوزي عيسى إلا أن يكون شاعرا جراحا يشرِّح ما يجري حوله بمِشرط شاعرية ساحرة، كمخرج عبقري فيلسوف يأبى إلا أن يترك بصمة من رؤيته الفلسفية على تلك الصورة، فلديه فلسفته الخاصة (الليالي قد أوقاتها)، لحظة الوجع أو الفرح تطبع الأيام بطابعها، وكأنك أنت من تصنع وتلون أيامك حسب حالتك النفسية وما ينعكس عليها، فهي ملكك أنت تصنعها كيفما تشاء، وكذلك (مواسم الفرح) والشباب والمتعة، لا تنتظر تأجيل، ومن يؤجلها فلا يلومن إلا نفسه، فمواسم الفرح (تنسى اللي بيفوتها)، فعليك ألا تقتل نفسك هما وغما وتنسى

obeikandl.com

الحياة، فليست

(الهموم هي آخر سكن)، بل هناك مساكن أخرى، وبرؤيته الفلسفية تلك كأنه يلوم نفسه ويجلد ذاته أن فرط فيها وباع نفسه واستسلم للهموم و الأحزان، ومن تلك الفلسفة يأخذك مرة أخرى إلى الخيط الدرامي المتصاعد مُرجعا إياك إلى الواقع المرير عندما يفور الحزن والشجن في قلبه، فيخاطب راكب النور، الحرية والبراح والانطلاق، أن يأخذه معه بعيدا عن هذا العالم الرافض له، فالأحلام طشاش ومعالمها غير واضحة وكل السكك لا توصل إلى شئ، وتتواصل الأوجاع تترى.

ولابد لنا من وقفة عن معنى الصداقة الحقيقية في تلك الصورة التعبيرية التى تعكس وبجلاء مدى إيمان فوزي عيسى لمفهوم الصداقة، وأن نقف على بُعد من أبعاد غربته النفسية في (يا حامل النور اللي ما وطاش) متحدثا عن صديقه الذي كان مصدر النور في شموخ وشهامة، فقد كان لشاعرنا مصدرا للنور والضياء وسط ظلمات دنياه المقفرة، والذي كان يمنحه راحة وبريقا من أمل ثم رحل، وفي نهاية القصيدة عندما تحاصره الدنيا يحن إليه في مثواه البعيد جدا، مناجيا في خشوع (خدني معاك يا حامل النور اللي ما وطاش)، فقد ضاقت الدنيا ونشبت الأحزان مخالبها في قلبه، فيناجيه أن يأخذه إلى هناك حيث البراح

والصديق والهدوء الدائم زاهدا في دنياه، بعدما خلت حتى من صديق النور:

عنواني آخر أوضه في الجنة
آخر براح في الأفق
آخر سما زرقا بتضحك ضَيّ
كان الزمن واقف على الحيطه
عمّال يقول لي حي
أنا الموهوم وإيه آخره
هو الطريق دا ولاّ مش فاكرُه
طن الطنين في القلب واتمدد
زي العيال ما تشاغب الحارات.

تجد هنا صورة سريالة لشاعر مواطن يحلم ببراح الكون وسماء صافية تضحك بزرقتها في تناغم و توحد بين الكون و الإنسان، فهو الانطوائي جبرا، المحصور في غرفة الهزيمة والانكسار، يحلم وفقط، ولكن زمنه يعيب عليه، وصوته الرافض داخله يناديه (حيّ)، فتلك الصور على جدران الحائط تستدعي فورة الشاب داخله أيام كان، وكلمة (حي) هنا لا تحتمل معنى دروشة الحضرة ولكنها فعل الأمر، ذلك الفعل الداعي إلى الحياة، يستدعيه ويستنفر داخله عزيمته وروح الحياة .. (حي) حي على الحياة، على

obeikandl.com

الرفض، على الانطلاق، ولكن للأسف فقدت قدماه معالم الطريق، فتثور الذكريات القديمة داخل روحه (زي العيال ما تشاغب الحارت).
ونرى في جسد القصيدة العامية عنده خصوبة وحيوية الصورة الشعرية حاضرة وماتعة بكل قوة وعنفوان، متماشية مع طبيعة الموضوع، وهو البارع في تجسيد المعنى وتحريك الساكن وتسكين المتحرك، فيضع أمامك المشاعر الإنسانية في صورة حسية باهرة (كان الزمن واقف على الحيطة) (سما زرقة بتضحك ضي)(زي العيال ما تشاغب الحارات)، و إن كنا نعيب عليه كلمة (زي) التى تحيلك إلى التشبيه وهو أضعف أدوات التصوير البلاغي بالنسبة للألوان البلاغية الأخرى. ثم ينتقل بنا إلى حالة خاصة به هو نفسه وفقط عندما يستدعي وجه ذلك الصديق الجميل الذي قد رحل وتركه يعاني ويكابد الواقع والوحده بعده .. (سرور):

يُحضرني وش صديقي لما مات
آه يا (سرور) يا راس الفساد
ليه سبت ليّ البؤس
واقف على سن الفرح ويرُصّ
حبات على حبات
خُدني منين ماتروح
يا راكب النور اللي ما وطّاش

واهديني للأحباب
لو تسمحي
ردّي عليّ الباب
لسه باقي ف الضلوع حبة هدوء فاضلين.

وهنا لابد أن تكون لنا وقفة مع الرمز في الشعر، فالرمزية مهما أخذت أبعادا كثيرة في التأويل لابد أن تحترم عقل المتلقى وألا تخرج عن مفهوم السياق أو الموضوع، قد تختلف الرؤى في تأويل الرمز ولكن في نهاية المطاف ترجع إلى مضمون الموضوع مهما اختلفت التأويلات، ولكن هنا نجد أن الرمز قد خرج بالمتلقى وببساطة إلى مالا يقصده الشاعر، فسياق الموضوع، الوطن والوجع والساسة والحكام، وكلها تأخذ إلى سرور غير سروره، (سرور) إلى قطب من أقطاب مرحلة سياسية معينه (أحمد فتحي سرور)، ولكن شاعرنا يقصد صديقه الذي قد تركه وحيدا ورحل خاصة إذا ربطنا زمن النص برموز السياسة فيه، ومن عاصر النص في زمنه قد يختلط عليه الرمز، فهنا الرمز أخطأ مقصوده ولم يؤد إلى مرام الشاعر عند الجمهور إلا خاصته، وليس على الشاعر أن يسعى وراء المتلقى شارحا، بل يتركه ورمزه شريطة أن يكون من جسد المعاناة والموضوع.
ثم بعبقرية المخرج الذي يعرف كيف ينهى فيلمه

الدرامي ذا المقاطع المفككة، يضعك أمام صورة تعبر وبكل صدق عن الانهزام ورفض الواقع والرغبة في أن يلحق بعالم النور العلوى وبراح الفضاء والجنة (خدني منين ما تروح - يا راكب النور اللي ما ما وطاش)

نهاية درامية معبرة عن اليأس من هذا الواقع، وأنه قد استسلم للموت بل ويتمناه، علّه يحظى هناك بوطن يحبه ويجده كما يتمناه مع صديقه الذي سبقه، ثم يستسلم لنفسه وبعض راحته الداخلية طالبا منها (الزوجه أو الوطن أو الحياة أو الزحمة والضوضاء اليومية) أن تتركه وبعض هدوئه وسكينته راجيا أن يواصل ما قد فُرض عليه من ضروريات العيش، يرجوها متوسلا أن تغلق عليه بابه وتتركه وهدوءه.

إنه الشعر العامي ضمير الأمة ووجدانها وسجل تاريخها الحديث في ثوب من الصدق والابتكار اللغة المتقنة وبوعي، فكثير من النقاد اعتبروا أن الشعر العامي بما يمتلك من أدوات ومعالجة راقية وواعية لكل ما تمر به الأمة والإنسان، هو سجلها الأكثر صدقا عن غيره في العصر الحديث.

شكرا شاعرنا فوزي عيسى على ما أمتعتنا به من قصيدة راقية، صورة ودراما ولغة و حيوية معبرة و وجدان مواطن يعيشه الوطن شعرا و نزفا و خيالا.

حبة هدوء

فى الشارع المقفول
سيّبت من إيدي الحمام
ووقفت أستنّى البراح
.....
فين رُحت يادي الحمام
ونسيت ؟!
قُط بينط
نطيت من على سور لسه مبني جديد
وزرعت حبة ضل
لسه النهار بيطل
والشمس فوق الأرصفه بتسيح
شوك الزمن راكب على المراجيح
شَبَك الأسى ف كعوبي
ما اتهديت
ورجعت تاني البيت
مخنوق من الأيام
م الساسه والحكام
من بابا جَه يا هشام
ومن مادا ومن ميدو
ومن كل اللى بنريدُه
دلدقت حبة حزن ع الكنبه

obeikan.com

آخر حدود الذاكره بتمر من جرنان قديم
على ناصية الشارع
ولد نايم وحاضن سكته التايهه
على سلم الأتوبيس
شفت الوطن هربان من الأجره
عمّال بيحسب إيه اللي يجرَى
لو عينين الكمساري
قفشت عينيه

.....

شم الوجع
ريحة السهر ووعيت
إن الليالي قد أوقاتها
إن المواسم تنسى اللي بيفوتها
إن الهموم مش هيّ آخر سكن
طَنّ الطنين ف القلب واتمدد
زي الرحيل لبعيد
زي الشهيد ساعة طلوع الروح
خُدني منين ماتروح
يا راكب النور اللي ماوطاش
أحلامي لسه طشاش
والسكه ماتوديش
عنواني آخر أوضه في الجنة
آخر براح في الأفق

obeikan.com

آخر سما زرقا بتضحك ضَيّ
كان الزمن واقف على الحيطه
عمّال يقول لي حي
أنا الموهوم وإيه آخره
هو الطريق دا ولاّ مش فاكرُه
طن الطنين في القلب واتمدد
زي العيال ماتشاغب الحارات
زي الظنون والذكريات
يُحضرني وش صديقي لما مات
آه يا (سرور) يا راس الفساد
ليه سبت ليّ البؤس
واقف على سن الفرح ويرُصّ
حبات على حبات
خُدني منين ماتروح
يا راكب النور اللي ما وطّاش
واهديني للأحباب
لو تسمحي
ردّي عليّ الباب
لسه باقي ف الضلوع حبة هدوء فاضلين .

obeikan.com

فلسفة الحياة والموت وفانتزايا الشعر

عند يس النحايفة

(طيب يا علاء)

(وما حدش مات م الموت) تلك الجملة الضاربة في أعماق الفلسفة الوجودية دهشة وغرابة للوهلة الأولى تنبيك أنك أمام شاعر له رؤيته و فلسفته الخاصة، فليس الشعر عنده صورا و أخيلة للمتعة والتغني كما قال الأقدمون "إن ماهية الشعر هو الغنائية"، ولكن شاعرنا اليوم يؤصل لنظرية أخرى للشعر، ألا وهي أن الشعر رؤى مضفرة بوجدان وخيال و أن المعول الأساسى هو الرؤى والقناعات التى يحملها الشعر ليكون جسر التواصل بين المبدع وما يؤمن به من فلسفات ورؤى قبل أن يكون تصويرا ولغة وخيال. فالشاعر عند يس النحايفة فيلسوف وروح من روح نبي، يجعل من الشعر رسوله إلى متلقيه كي يحمله على ما يؤمن به، وتلك القناعة لا تتأتى إلا لشاعر عرف حقيقة الشعر وجوهره، وآمن أن الشعر ليس خيالا وصورا وموسيقى فقط. فكثير ممن يكتبون الشعر نظما لا نبضا وقناعات، يمتلكون تلك الأدوات، ولكن شاعرنا يسير على نهج أبي العلاء المعرى

الفيلسوف الشاعر، الذي يصنع لنفسه عالما خاصا بعد خبرات وثقافات متنوعة، ثم تتكون لديه رؤياه وفلسفته هو، ويكون الشعر رسوله إلى مريديه.
وقصيدة يس النحايفة (طيب يا علاء) تضعك أمام شاعر له فلسفته الخاصة ورؤيته العميقة لفلسفة الحياة والموت، مستلهما تلك الرؤية بعمق فهم ووعي من تراثنا الإسلامي، وإطلاعه على الثقافة الإنسانية في أروع تجلياتها، فرغم أنه ينبع من مشكاة الفلسفة الإسلامية التي تشكل وجدانه إلا أنه يتماهى في ذات الوقت مع جوهر وحقيقة الفلسفة الإنسانية وحقيقة الوجود في جميع المذاهب، فحقيقة الوجود وماهيته الحقة لا تختلف في شتى المذاهب التى تنظر وبحيادية لحقيقة الخلق والموت وإن اختلفت الرؤى وتعددت المناهج.
(طيب يا علاء)، جملة افتتاحية تثير في النفس روح الحزن والوجد والعتب المدمج بدمع الفراق على صديق قد مات، ولن أحدثك هنا يا صديقي عن ثراء الشعر العامي، خاصة عندما تغزله يد مبدع حقيقي يمتلك من جماليات الشعر وفلسفة الوجود الكثير والكثير.
ولنبحر مع حقيقة الموت وفلسفته عند يس النحايفة في تلك القصيدة الفارقة في الشعر العامي.

فإذا كان الحوار في القصيدة يثرى ويحدث الدهشة

وإلامتاع، فالشاعر هنا يستدعي الماضي في حسرة ومرارة ليضعك أمام تلك الصفات النبيلة لهذا الصديق فتراه بعين المحب وتصادقه كما صادقه هو، ليثير فيك روح الوجع عند لحظة الفقد، إنه الشاعر الذي يعرف كيف يأخذك إليه ليقنعك بفكرته، فتسلم له بما يقول بعدما يجعلك في قلب التجربة الإنسانية الخاصة به:

يس ١
- والله واحشني يا عم يس
- كداب ..
- ما انا لو واحشك كنت هتيجي تطل عليَّ
- والله مشاغل
وغلاوتك انت عارفها
- عذرك بس ان انت حبيبي
هاستناك
وما جاش.

حوار بسيط وهادئ بلغة عذبة انسيابية فيها من البساطة والسحر ما يجعلك تستشعر صدق العلاقة الحميمة وجلالها وتستشعر طعم الدموع في الحلق (وما جاش)، وكأن يس لم يمهلك لتعيش معهما حلاوة وعذوبة الصداقة الشفيفة ورقي تلك العلاقة الخاصة جدا من نبل وصدق مشاعر، فيصدمك سريعا بقوله (وما جاش)، وهنا يأخذك إلى حضرة يس النحايفة

obeikan.com

الخاصة بما لدية من وجع ومرارة فقد ونبل شعور، ببراعة وحلاوة التصوير الدلالي والخيالي الراقي الذي يعبر عن شاعرية فذة في ابتكار الصور الدالة على عمق شاعريته وصدق الحالة، فترى تلك اللغة لينة طيعة والخيال أخضر خصب في نضارة روحه:

ساب الحتة بتاعته ف قلبي براح
ولدلوقتي
ماحدش مستجري يهوِّب ناحيتها
أصل انا خبِّيتها
لحد ما اروح له
لو كان استأذِن قبل غيابه
يمكن كان اداني الفرصة
أملّي الروح من طيبة نفسه
و أسامح نفسي.

وهنا تأتيك تلك الرؤية الإيمانية المقدسة أن الكل إلى فناء، وما الحياة الدنيا إلا رحلة سفر ستنتهى يوما ما، وسنلحق بمن سبقوا، وهو المؤمن بحتمية الموت وانتهاء الأجل يوما ما، ولكن روحه، تلك الروحة الإنسانية التى تحزن وتسعد وتشتاق وتحن، فهو ليس بالساخط على الموت ولكنه الملتاع من مرارة الفراق، وكان يتمنى أن يشبع من رفقة صديقه قبل الغياب.
ثم يأخذنا معه في رحلة تشبه العَدِّيد في ميراث الصعيد

obeikan.com

من استحضار صورة الفقيد والمحاسن ليبين بشاعة الفقد وعظمة الوجع، وتلك لمحة تنبيك عن نشأة شاعرنا وأنه ينتمي إلى تلك البيئة الصعيدية المتوارث فيها ذلك اللون من الأدب الشعبي، ونداهة الموت في الفلكلور الشعبي عند أبناء الصعيد، ولكنه الشاعر المثقف الذي لايمكن أن تمر القصيدة عنده بدون أن يضع فيها بعضا من رؤيته وفلسفته ولكن بطريقة شعرية محببة للنفس، وأن الموت ما هو إلا ذلك الوحش المفلوت على الناس يحصدهم كيف يشاء كل حسب دوره، فهو المأمور بذلك ولا ضير عليه:

بتطاوع ندّاهة الموت وتغيب؟!
القلب الشفاف اللي مونّس صدرك
بقى يعرف يهرب
ويخبِّي ميعادك عني
ويقهرني عليك ؟!
.....
كنت زمان بتغيب وبترجع
مع إن غيابك كله حضور
بس الموت
مفلوت ع الناس
خلّى حضورك برضه بيوجع
كنت اما ثهفّ علىَّ القاك
صوتك

طلّة روحك
بسمة قلبك لما تكون ويانا
أه ويانا
هاني وسيد .. عم مَّحروس
زيزو ومروة وعبده ومجدي و ..
وانا وياهم
كل حبايبك
اللي اكتشفوا الثُّقل المربوط ف غيابك
لما مشيث.

ثم تأتي الفقرة الفارقة في القصيدة التي يضع فيها شاعرنا خلاصة فلسفته في رؤيته للحياة والموت،وأن البشر نوعان، صنف تشتاقه وتتجسد فيه كل معاني الإنسانية الحقة، وصنف آخر لا يحمل من الإنسانية إلا معناها الظاهري فقط، ثم الجملة المفتاحية، جملة القصيدة، قلب النص ألا وهي (وماحدش مات م الموت)، تلك النظرية التي تأخذك إلى حقيقة الموت وفلسفته وأنه ما هو إلا مرحلة انتقالية لحياة أخرى، و أن الأرواح تتلاقى في عالم آخر، عالم الخلد الذي لا موت بعده، متكئاً على ثقافته الإسلامية في تلك النظرية، وإن كان هو المطلع على ثقافة الموت في بعض الثقافات الأخرى من تناسخ الأرواح، والأدب المصري القديم عند الفراعنه، من حقيقة البعث مرة

obeikan.com

أخرى، وأيما تكون تلك المسميات فكلها تؤدي في النهاية إلى فلسفة وحقيقة واحدة ألا وهي (إن الموت مش بيموت). وقد يأخذك ذلك إلى مفهوم اجتماعي آخر ألا وهو أن هناك أحياء موتى بعدم تأثيرهم في محيطهم، وهناك أموات أحياء بسيرتهم العطرة ونفعهم الدائمة بما يتركونه بين الناس يستظلون به بعد غيابهم، فهم الموتي الأحياء :

فيه ناس بتعيش
وتموت ف الضِّلّ
زي الحَسَنَة
تجوز في السِّر
.....
"شتان الفرق* "
ما بين إنسان وبين إنسان
واحد
بتضايق روحك لجل تعوزه
والتاني
والله ما يتعاز
ـ يا إنساااان
واحد
بتقولها له بكل قيمتها
والتاني
بتحايل نفسك وتقولها له مجاز

obeikan.com

.....
خد بالك م الصافيين
الهايمين في الملكوت
هايقولوا العيب على مين؟
ويرد ف قلبك صوت :
ـ العيب في البني آدمين
وماحدش مات م الموت.

ولن أفسد عليك يا صديقي القارئ متعة النص وحلاوته ولكنها رؤية سطحية جدا لنص ما أرى إلا أن قلم النقد وأنف كلب الصيد قد يفسد حلاوته ويحصر رؤاه في رؤية قاصرة، وسأتركك يا صديقي ترتشف من حلاوة اللفظ ورقته وعذوبة الخيال الضارب في عمق الوجدان، علك ترى ما يراه شاعرنا من أن الحياة ما هي إلا رحلة سفر ولن يحيا إلا من قد كان حيا في دنياه بعمله الصالح ومنفعته المطلقة للبشرية على السواء .

العيب على مين

يس ١
-والله واحشني يا عم يس
-كداب..
ما انا لو واحشك كنت هاتيجي تطل عليَّ
-والله مشاغل..
وغلاوتك انت عارفها
-عذرك بس ان انت حبيبي..
هاستناك

.....
وما جاش!
ساب الحتة بتاعته ف قلبي براح
ولدلوقتي
ماحدش مستجري يهوِّب ناحيتها
أصل انا خبِّيتها
لحد ما اروح له
لو كان استأذِن قبل غيابه
يمكن كان اداني الفرصة
أملِّي الروح من طيبة نفسه
و أسامح نفسي
آآآه
طيَّبْ يا علاء

obeikan.com

بتطاوع ندّاهة الموت وتغيب ؟!
القلب الشفاف اللي مونّس صدرك
بقى يعرف يهرب
ويخبِّي ميعادك عني
ويقهرني عليك ؟!
.....
كنت زمان بتغيب وبترجع
مع إن غيابك كله حضور
بس الموت
مفلوت ع الناس
خلّى حضورك برضه بيوجع
كنت اما تْهفّ علىَّ القاك
صوتك
طلّة روحك
بسمة قلبك لما تكون ويانا
أه ويانا
هاني وسيد .. عم مَّحروس
زيزو ومروة وعبده ومجدي و...
وانا وياهم
كل حبايبك
اللي اكتشفوا الثُّقل المربوط ف غيابك
لما مشيت
.....

obeikan.com

فيه ناس بتعيش
وتموت ف الضِّلّ
زي الحَسَنَة
تجوز في السِّر
.....
" شتان الفرق"
ما بين إنسان وبين إنسان
واحد
بتضايق روحك لاجل تعوزه
والتاني
والله ما يتعاز
ـ يا إنساااان
واحد
بتقولها له بكل قيمتها
والتاني
بتحايل نفسك وتقولها له مجاز
.....
خد بالك م الصافيين
الهايمين في الملكوت
هيقولوا العيب على مين؟
ويرد ف قلبك صوت:
ـ العيب في البني آدمين
وماحدش مات م الموت ٤

obeikan.com

.....
من يوم ما مشيت
و ف كل خميس ع القهوة
الموت معزوم على قهوة
مع إن ماحدش نادى عليه
وماحدش وجه له الدعوة
لكنه بيشرب
ويطوف بعنيه
ويعلق نَظَرُه ع اللي عليه الدور
يخطف ... ويدور
ما تخافش يا صاحبي
كل حبايبك دول جايين لك
إستناهم
هاني وسيد .. عم مَّحروس
زيزو ومروة وعبده ومجدي و...
وانا وياهم.

obeikan.com

ما بين البلاغة والفصاحة و جلال الشعر تكمن روح الإنسان

لسه مش موسم لوردك تفتحي!!

في رثاء (مصطفى السيد شحاتة)

لمحمد حسني إبراهيم

ما أجمل التوحد في رحاب الذات البشرية بروح طفل، وقلب عارف، ونبض من عبق النبوة!! و ما أحلى الشعر عندما يمتزج بروح شاعر كله طفل أوطفل قلبه ريحان، إن ما استوقفني عند الشاعر محمد حسني إبراهيم في ديوانه (الأسامي) شئ جميل – وهو ليس بالغريب - لكنه الغريب عن حقلنا الشعري في الآونة الأخيرة، ألا وهو تحول التجربة الشعرية من خاصة إلى تجربة إنسانية عامه، فكل المشاعر الإنسانية ليست بجديدة، بل هي نفس المشاعر من لدن آدم حتى قيام الساعة ، هكذا يتعامل معها كل المبدعين عبر العصور، فعاش نتاجهم الأدبي وسيعيش، لأنهم و ببساطة يعبرون عن جوهرها الصافي دون سجنها في أطر التخصيص، فالحب هو الحب والوجد هو الوجد والفراق والأوطان ووو إلخ. و في ديوان محمد

حسني (الأسامي) نجده لا يتحدث عن أشخاص بعينهم بقدر تحدثه عن مشاعر وأرواح عاشها معهم وبهم وفيهم، ينظر إليهم من خلال روحه الشفافة الضاربة في عمق الإنسانية الخالصة، بحرف شعري غض ولين وعميق مثل روحه، ومن بساطة روحه وسلامة منطقه الإنساني و بحكمة فيلسوف بسيط تأتي حروفه وجمله الشعرية غاية في العمق والبساطة والجمال، تهدر بمشاعر إنسانية فياضة، فيلبسها بفطرته النقية صورا شعرية رهيفة ويصنع لها أجنحة من خيال، فتبدو حقيقة في عالم الخيال يحلق بها في سموات التجلى الإنساني، فتعيش مع إنسانيتك، ويُخرج منك تنهيده حلوة وألف آآه .

وقد آثرنا أن نستقطع قطعة من روحه الجميلة لنتذوق حلاوة الشعر وبكارة الصورة الشعرية ونرتشف من كأسه شهد الكلمة، قصيدة

(قرب وشوف)، تلك القصيدة المتوسطة الحجم التي يجسد فيها محمد فيضا من صدق مشاعر الوفاء ونبل الإحساس، ذكرى ودمعة حارة لمن فارقونا إلى رحاب السماء، ولابد من التذكرة أن الأسامي الواردة في ديوانه ما هي إلا أسماء لأرواح هائمة في ملكوته، فهو دائم التوحد مع بني جنسه لا يراهم الا من خلال روحه الشاعرة، فالجنس البشري عنده وحدة واحدة لا تتجزأ ولا يفصله عنهم دين أو جنس أو لون أو أية

معتقدات، فهم هو وهو منهم يحبهم ويجد نفسه ملتحمة بذواتهم، يعشقهم أحياء ويبكيهم أمواتا هو على كل حال معهم هنا و هناك .

لسه مش موسم لوردك تفتحي!!

وتسيبي بابك للسما وتطوحي

أحلام كتير كانت ف عينك من بعيد

بانت ولسة دموع كتيرة هتطرحي.

(لسه مش موسم لوردك تفتحي َ!!)، يبدأ نصه الشعري بالتعجب متسائلا في عتب وحسرة وألم، فمن تلك التي يخاطبها؟ ولكن المتابع جيدا لشعر محمد حسني يرى أنه لا يخاطب إلاها وفقط، تصاحبه في كل أشعاره وفي كل خطى حياته، إنه المعجون من طينة عشقها، دوما حبيبة واحدة

(الوطن)، وفي كل خلجاته على اختلاف مشاعره وتجاربه يجري إليها يحادثها ويشكوها أو يشكو إليها، يفرحها أو يعاتبها، فلا حبيبة تسمع عتابه وحزنه ووجده وفرحه ورقصه إلا هي، وعندما يعتصر الألم قلبه، ويدمي روحه فراق عزيز يهرع إليها يبثها دمعه وشكواه(أحلام ف عينك بانت من بعيد ... بانت ... ولسه دموع كتيرة هتطرحي) .. لا ندري هنا أيبكي

إليها محمد حسني أم يعاتبها أنها لا تزال ستبكي قلبه؟ فمازالت تخبئ له
(دموع كتير) .

ماتخوفيش الصبح خلي النور يفوت
ويعدي بَر الحق ويسيبنا
ماحنا اللى نورنا بيطفي بالاوجاع
واحنا وجعنا وقهرنا ف نورنا
"ده قبر مين اللي الورود مالياه
قبر اللى عدى وسابنا إحنا معاه
وده قبر مين اللي الندى باسه
قبر اللى ساب حبه مابين ناسه".

يا لقسوة العتاب عند محمد حسني في جملة (ماتخوفيش الصبح خلي النور يفوت) يا الله! منتهى اللوم والوجع فماذا يطلب منها؟ وعلام يعاتبها؟ من خلال التمعن في تلك الجملة تشتم رائحة المعاناة الإنسانية لأبناء الوطن الذين قد تعبوا ويئسوا في رحابها من شظف العيش والجوع والبرد وضبابية

obeikan.com

الحلم على أرضها، فيطالبها ألا تُيئسهم من رحمة السماء، فعنده كعامة الطيبين البسطاء الجنة في السماء والرحمة هناك، فيطالبها أن تنحي جانبا اختلاف أيدلوجيات رجال الدين والفلسفة وسدنة المعبد والأوصياء، و ألا تخوفهم من السماء بالعذاب المنتظر هناك، (خلى النور يفوت). ولترى المفارقة والتضاد الماتع جدا بين جملتي (ما احنا اللى نورنا بينطفي بالأوجاع .... واحنا وجعنا وقهرنا ف نورنا)، مفارقة تعبر عن حال العاشقين المؤمنين بها والمتغربين فيها بعشقهم، ثم بعد تلك التوطئة في بداية النص من لوم وعشق وعتاب، يتناول تجربته الخاصة فيرثى روحا فاضت إلى رحاب النور زارفا دمعة شوق شعرية تحمل قلبه الإنساني، وما نراه إلا إنسانا فقد عزيزا عليه فيناجيه دمعة حب ورجاء .

وتطالعك الأساليب البلاغية متدفقة بعفوية بغير انتقاء، بل تأتيك عبر صدق معاناة، فترى الأسلوب الإنشائي من استفهام تعجبي فيه دخان الثورة والعتب على قطار الموت ورحلة الفراق ، ويحمل من روح الفخر والثناء على تلك الروح التى فاضت، فكان القبر نورا يأتيه ندى السماء مقبلا ومباهيا به. وتتدفق كل عناصر التجربة الشعرية بكل أدواته، من موسيقى هامسة متناغمة في الجناس بحرف السين الذي يتلاءم وجلال الفقد وحرقة الوداع وجلال الموت (باسه .. ناسه)

و(مالياه .. معاه) فحرفي (اه) تنبيك عما يعانيه من الآم الفراق وكأنه يصرخ من أعماق قلبه بدون صوت، فتحمل الحروف صراخه وشكواه،ناهيك عن التضاد الراقي بعفوية قلب (سابنا ... إحنا معاه)، فيا لكم الصدق والحب والوجع، وما أحلى اللغة عندما تحمل ما يجيش داخل الروح من مشاعر.

ثم يبدأ في وصف رحلة الصعود بروح درويش وقلب مؤمن بحقيقة البعث وجنة السماء، فهو الشاعر الذي خلقت روحه الحواديت والتراث الشعبي وفلسفة الدين وإيمان العوام، فيصور لنا رحلة سفر الأحبة إلى هناك، وإن دل ذلك فإنما يدل على مدى ما يكنه للناس من حب وحسن ظن بسيرتهم، فلا يعلم مصائرهم إلا الله، ولكنه قلب محمد حسني الذي يرى كل الخلق بررة وأنبياء .

متصورين الفرحة فوق وياك

وانت بتضحك اجمل ضحكة ف العالم

واخد ف إيدك ونس بيكفي كل الناس

عصافير كتير

ورد المحبة وطلتك

حواديت بنقسمها ومانعيشهاش

ترمي الوجع على جنب فى الإنعاش
وتشم ريحة الأهل والصحبة ــ تفرح تقوم
وترد الروح ف السفر
تسمع غناوي من ملايكة يرحبوا
أهلا يادرش يامصطفى
أهلا يا أطيب م الصفا
أهلا يابو أجمل بنات
علمتني حروف الوفا.

ولنقف هنا على معاناة الشاعر والإنسان أينما كان، يكابد في وطنه ويعاني (حواديت بنقسمها وما نعيشهاش) فمن خلال ذلك التعبير المجازي ترى الكثير والكثير، ترى مثلا أن ذلك المسافر كان من نفس مرجعية محمد حسني الإنسانية والثقافية في اقتسام الحلم والهم والوجع في عشق الأوطان، ترى أيضا مدى الحرمان الذي يعانيه أبناء وطنه من تشتت واغتراب، فتلك قضية كل العاشقين على مر الأزمان، ثم يأخذك بحلاوة روح ورقة لفظ ليخلّد تجربته الإنسانية الخاصة به ويضفي عليها ثوبا من القداسة، يلبسها روح صديقة، فيعود إلى تجربته

الخاصة متمثلة في شخص (مصطفى) فهو عنده الخال، وعندنا نحن لكل حبيب غال قد فقدناه. ومن خلال قاموسه الشعري البسيط جدا ترى ملامح روح ذلك الطفل الذي يسكنه، من طلاوة حس وبشاشة قلب وحلاوة لسان، ذلك عندما يُنزل الملائكة من عالمها العلوي إلى عالم الحارة بلغة الإطراء المعسول وبشاشة الترحاب (أهلا يا درش).

أهلا يا أطيب م الصفا
أهلا يابو أجمل بنات
علمتني حروف الوفاَ
أهلا يادرش يامصطفى
ونردد الأوجاع ف بعدك عننا
لكن بنرجع نفتكر
ضحكك وروحك لمتك
وحنان كتير بيشُر من بين الكفوف
لسة هنا حبك
لسة هنا فرحك
قرب ... وشوف

obeikan.com

(أهلا يا درش) جملة محورية في بنية القصيدة، فمرة تَرِد على لسان الملائكة مرحبين باشين، ومرة تَرِد على لسان شاعرنا لتحمل معنى الحب والوجع والدموع والفرح ، ثم من خلال تتابع صفات المُرثى نتعرف أكثر على طبيعة وفاء الشاعر لأصدقائه، فهو لا يمل من تكرار صفاتهم النبيلة، والأجمل إنكار ذاته، فهو يحيل صفة الوفاء لهم هم لأنهم هم من علموه صفة الوفاء، ثم ينعطف الخيط الدرامي عنده من مرحلة الفخر والفرحة بمكانة صديقه الذي قد وصل إليها في السماء إلى مرحلة الدمع والوجع والفراق، مبينا مدى مكانته عنده ومدى ما يعتريه من أوجاع الفراق، فينكفئ على ذاته في ركن الروح مسترجعا أحلى لحظات جمعتهما معا، فيعود بنا من استخدام أسلوب المخاطب إلى استخدام أسلوب المونولوج الداخلي بمهارة رائعة (لكن بنرجع نفتكر ....).

نعم، الخيط الدرامي يسير بعفوية جدا، أحيانا هادرا، وهامسا أحيانا، وأحيانا أخرى ثورة وعتاب، ومتغنيا في كل الأحيان، وذلك بدون حبكة مصطنعة أو وعي مقصود، بل إنه وعي الذات بما يفور فيها من خلجات وأحوال، هكذا عنده يسير الخيط الدرامي كالنهر في جسد النص، رقة وعنفوانا بلا وعي خارجي، بل وعي داخلي مستطاب.

وفي نهاية النص وكأن محمد حسني دون وعي،أراد

يعلمنا درسا قاسيا ألا وهو: كن طيبا يخُلد ذكرك وتدوم بين البشر غنوة ونسمة وروح إنسان .

لكن بنرجع نفتكر

ضحكك

وروحك

لمتك

وحنان كتير بيشُر من بين الكفوف

لسة هنا حبك

لسة هنا فرحك

قرب ... وشوف.

نعم إنه الشاعر القصيدة أو القصيدة الإنسان، فعندما تصدق التجربة الشعرية وتصدق العاطفة ويفور الإحساس، تأتيك كل أساليب البلاغة طواعية تمشي بلا استحياء.

شكرا محمد حسني وشكرا مصطفى السيد على ما خلفته لنا من صدق الوفا وبراءة الإنسان .

obeikandl.com

لسة مش موسم لوردك تفتحي!!
وتسيبي بابك للسما وتطوحي
أحلام كتير كانت ف عينك من بعيد
بانت ولسة دموع كتيرة هتطرحي

متخوفيش الصبح خلي النور يفوت
ويعدي بَر الحق ويسيبنا
ماحنا اللى نورنا بيطفي بالاوجاع
واحنا وجعنا وقهرنا ف نورنا
"ده قبر مين اللي الورود مالياه
قبر اللى عدى وسابنا إحنا معاه
وده قبر مين اللي الندى باسه
قبر اللى ساب حبه مابين ناسه"

متصورين الفرحة فوق وياك
وانت بتضحك اجمل ضحكة ف العالم
واخد ف إيدك ونس بيكفي كل الناس
عصافير كتير

obeikan.com

ورد المحبة وطلتك
حواديت بنقسمها ومانعيشهاش
ترمي الوجع على جنب فى الإنعاش
وتشم ريحة الأهل والصحبة ــ تفرح تقوم
وتردد الروح ف السفر
تسمع غناوي من ملايكة يرحبوا
أهلا يادرش يامصطفى
أهلا يا أطيب م الصفا
أهلا يابو أجمل بنات
علمتني حروف الوفاَ
أهلا يادرش يامصطفى
ونردد الأوجاع ف بعدك عننا
لكن بنرجع نفتكر
ضحكك وروحك لمتك
وحنان كتير بيشُر من بين الكفوف
لسه هنا حبك
لسه هنا فرحك
قرب ... وشوف

obeikan.com

تكنيك الصورة الشعرية

ما بين الحارة والتحليق
عند أمل عامر في (شلال حنان)

إذا كان مثلث التجربة الشعرية يقوم على أضلاع ثلاثة، ما بين الفكر والوجدان والتعبير، فإن من أهم محاور التعبير الصورة الشعرية، التى تتعانق مع الأسلوب واللغة الموحية، وإذا كانت اللغة الشاعرة توحي بمضامين النفس الشاعرة وخلجات الروح، فإن الأسلوب يعكس ما يمور داخل النفس الشاعرة، من نوازع و صراعات، وحلاوة النص الشعري تكمن في تخليق وابتكار الصورة الشعرية، التى ينسجها الشاعر بنبض روحه ونداوة خياله، متفردا عن غيره ومبهرا المتلقى بحلاوة التصور، ورسم عالم من خيالٍ يجسده واقعا، والشاعر المتفرد وحده هو القادرعلى صناعته والتحليق في سماء المتعة بمدى عبقريته الشعرية وثقافته وأدواته، ولا يختلف في ذلك الشعر الفصيح أوالعامي، فكلاهما جناحان لطائر الشعرالجميل، والشاعر الحق من يمتلك مهارة خلق وابتكار الصورة الشعرية بتفرد وابتكاريةٍ، مع إقناع المتلقى بعالمه الافتراضي، لأنه واقع مُعاش داخل روحه.

ونجد ذلك عند أمل عامر في قصيدتها (شلال حنان)،

حيث يظهر ذلك جليا في ابتكار وتخليق صورة، تعكس مدى الحنين لزمن الأبوة الدافئ والبكارة الصادقه، راسمةً لنا عالماً من الخيال الخصب الذي يشع حنينا وحنانا شجيّا، ناسجة لعالمها الأبوي صورة من الروحانية وهالة ملائكية جميلة:

دقة عكازه على الأسفلت
بتصحي في قلوب الملايكه
يسبق نهاره
و يأمهم لصلاة الفجر
تضحك شبابيك جامع الأزهر
لما تشوفه
وحيطان الجامع تتعطر
ببخور أنفاسه .

فقد جعلته إماما، ليس فقط للبشر بل لكل ما هو روحاني ونوراني في الحياة، وتضفي من روحه على الجماد الكائن، فيتحول إلى روح، ثم تسحبه ببراعة إلى أرض الواقع لينشرعبيره بين جنبات الحارة بخيريته الإنسانية المفطورعليها:

وما بين الحمزاوى و بيبرس
ماشي يوزع في حنانه
علي خلق الله
ويطبطب بكلامه الدافي

obeikan.com

علي أبعد جار.

وهنا ترى الالتقاء بين عالمين،عالم النور السماوي المتمثل في (الملايكة، صلاة الفجر، بخور أنفاسه) وبين عالم الإنس المعتق بدفء الحميمية الصادقة لأبيها مشاركا لحارته.
خليط بين عالمين ممتزجين بوحي صورة منسوجة بخيوط الوعي الشعري والشعوري معا، ويظهر ذلك في (بخور أنفاسه و يطبطب بكلامه الدافي) في مهارة جعلت المعنوى متجسدا والمادي روحانيا بكل شفافية .
وتستمر الشاعرة في رسم الصورة الشعرية المعبرة عن الشجن وحنين الروح إلى تلك المرحلة العمرية من دفء الأبوة.

صور تثير في النفس دمعة حنين ومتعة، فتتذوق الصورة العطرة التى تبلور صورة الأب في أبهى حُلة له، و ترى وجعها وحزنها مزروعا صبارا في بلكونتها، تلك التى كان يقف بها الأب، شجرة للدفء والأمان، تطوف فراشات البراءة حول نوره، مستمتعة بصوته الرخيم الحاني المتحني بأمان الدنيا:

قلبي المحتار
بيخاف م الذكري
وبيهرب م التفاصيل
لسه الوجع رغم السنين
مزروع مع الصبار
في بلكونة
كان لما يطل عليها
تفرح فساتيني
وتزقزق علي حبل غسيل
وتحوم فراشات ستايرنا
حوالين ضيه
صوته المتحني بأمان الدنيا
بيطمن قلبي
وبيرسم لي مداين فرح.

ولابد من الوقوف على شئ مهم عند الشاعر الواعي، ألا وهو أنه رغم بكارة وندواة وتزاحم الصور الجميلة، لابد ألا ينسى الشاعرالعمود الفقري و الخيط الدرامي للنص، فبرغم أنها تتماهى مع ذلك الحنين والوجع،ترى هذا فى تصوير الأب المستمر الدائم بين السطور، فهو لا يغيب عنها وسط حالة الشجن وتزاحم صورها (حوالين ضيه) .
عالمُ التصوير المجازي عند أمل عامر لا يتأتى

obeikan.com

اعتباطا وليس استظهارا لموهبتها الشعرية، بل تستخدمه بحرفية راقية لتعبر عن حالة شعورية و وجدانية، تبرز عالمين متباعدين زمنا،عالم الطهروالدفء في حضرة الأب، وعالم الشجن والوجد التي تعانيه في ظل الغياب والتباكي عليه، مستخدمة الصورة التعبيرية في إظهارهما معا، دون أن يجور أحدهما على الآخر :

مر الشكوي
دلوقت بستناه في الحلم
نفس الضحكة
والنور بيحاوطه
من الأركان
مادد ايده
أجري
واتخبي
في ضل عينيه
لساه المصحف مستتي
يوم الجمعة
وسورة (الكهف)

و في نهاية تلك اللوحة التعبيرية، نراها تنسحب في هدوء وتتكفئ على عالمها الداخلي في عزلة، مستحضرة صورته لتعيش فيه وبه ، ذلك العالم الذي قذ ذاقت حلاوته، لتريك مرارة الفقد و غربة الواقع

الذي تعيشه، و قد ضاعت فيه كل معاني الأبوة الحانية و القيم، وأن الواقع كله على اتساعه لم يغنها ولم يشبع ذاتها أو يعوضها عنه .

وكما بدأت قصيدتها بعبق صوفي ديني، تنهيه أيضا بذلك العبق المتمثل في صورته قارئا لسورة(الكهف) فقد صنعت له هالة من الجلال و الوقار بين جنبات روحها، وبين أزقة الحارة التي تنتظره و ما تزال تسأل عنه .

obeikan.com

شلال حنان

دقة عكازه علي الأسفلت
بتصحي في قلوب الملايكه
يسبق نهاره
و يأمهم لصلاة الفجر
تضحك شبابيك جامع الأزهر
لما تشوفه
وحيطان الجامع تتعطر
ببخور أنفاسه
ويفوح بشذاه
حتي المادنه بتميل وتسلم
وما بين الحمزاوى و بيبرس
ماشي يوزع في حنانه
علي خلق الله
ويطبطب بكلامه الدافي
علي أبعد جار
...
قلبي المحتار
بيخاف م الذكري
وبيهرب م التفاصيل
لسه الوجع رغم السنين
مزروع مع الصبار

obeikan.com

في بلكونة
كان لما يطل عليها
تفرح فساتيني
وتزقزق علي حبل غسيل
وتحوم فراشات ستايرنا
حوالين ضيه
صوته المتحني بأمان الدنيا
بيطمن قلبي
وبيرسم لي مداين فرح
أعيش أيامي أغنيه
وديوانين شعر
واغذي القلب بالطيبة
اللي ف ملامحه
سكر نباته يحلى لي
مر الشكوي
دلوقت بستناه في الحلم
نفس الضحكة
والنور بيحاوطه
من الأركان
مادد ايده
أجري
واتخبي
في ضل عينيه

obeikan.com

لساه المصحف مستتي
يوم الجمعة
وسورة (الكهف) بتتوضي
وتسالني عليه

obeikan.com

دوبيت الحلم والحياة وكوميديا الزمن

عند صبري علي و (رباعياتي)

الرباعية مقطوعة شعرية من أربعة أبيات تدور حول موضوع معين، وتكوّن فكرة تامة وفيها إما أن تتفق قافية الشطرين الأول والثاني مع الرابع ويسمى (الدوبيت الأعرج)، أو تتفق جميع الشطور الأربعة في القافية ويسمى (الدوبيت الكامل) وهو يقوم على اللغة السهلة (لغة الشعب) بلا تكلف أو تعقيد، لغة تمس حياة البشر كافة دون تمايز بين طبقات المجتمع من ثريها إلى فقيرها، فالجميع يشتاق إلى معرفة مصيره ومثواه وجدوى حياته ويريد أن يطل من خلاله على حياة الآخرين، ويرى نفسه من خلال عيون الناس وتجاربهم.

الجدير بالذكر هنا هو استخدام كلمات وعبارات قابلة للتأويل في فن الرباعيات، أهمها استخدام أشياء متداولة وفي متناول أيدي الناس، خاصة الطبقات الفقيرة والمتوسطة، فتتجسد في الرباعيات مفردات خاصة لدى من يعزف على منوال الرباعية، فالشاعر دوما ابن زمانه، يستلهم مما حوله ما يعينه لتوضيح فكرته، ويجعلها حيّة بين الناس. ومن أهم ميزات

الرباعيات أنها تقارب فن الحِكم عن العرب، من تضمينها موضوعات تعبر عن خبرة السنين وخلاصة فكر وفلسفة الشاعر في مساحة قليلة من البوح والنسج، محصورة في كلمات قليلة، مما يجعلها تعلق بالذهن ويسهل حفظها، مع حسن الصياغة وحلاوة السبك، وبما تشمتل في الكثير من الأحيان على روح التندر والفكاهة الموجعة، أو مما نسميه بالكوميديا الباكية، وليس السوداء.

والرباعية نمط من أنماط الشعر في الأدب الفارسي والعربي، وهي فارسية المنشأ، وأشهر الرباعيات على الإطلاق رباعيات (عمر الخيام)، خاصة تلك التي ترجمها (أحمد رامي) وجعلها مصرية الهوى بما أضفاه عليها من روحه وحسه.

وكثير من الشعراء في عصرنا الحديث برع في فن الرباعيات ومارس العزف على أوتارها مبتعدا عن منوال القصيدة، فصيحة أو عامية، ذلك لسهولة النسج وبساطة الحبكة. وقد شاعت بفضل حسن منطقهم وحلاوة أسلوبهم وجزالتها، وما تضمنته من كوميديا ساخرة، والطرفة التى عبرت عن أوجاع وأحلام المجتمع، كذلك آليات العصر وتسارع وتيرة الحياة التي لا تحتمل ثقل وطول القصيدة أيا كانت، كذلك ساهم الإعلام بحظ وافر، لاستخدامها في مقدمات الأفلام والرسم الكاريكاتيري والتواشيح وحلقات

الذكر، من أمثال بيرم صلاح جاهين وسيد حجاب.

وقد وجد شاعرنا صبري علي مندوحته وضالته في فن الرباعيات، ووجد فيها ضالته وهواه، من خفة روح وبساطة تعبير و روح التندر والفكاهة اللاذعة عنده، فعزف على أوتارها البسيطة جدا، بساطة روحه الإنسانة دون تعيقد أو إطالة، وكأن عمله قد ساهم بشكل كبير في اختياره لقالب الرباعيات، لتضمين ما يجيش بروحه وحسه، فمجال الهندسة يلائمها وبالطبع جودة السبك وجزالة المعنى ورصانة الفكرة مع الاختزال والوصول إلى النهايات المنطقية من أقرب طريق دون إطالة أو استطراد وإسهاب في عرض فكرته و رؤاه.

وفي ديوان (رباعياتي) نرى صبرى علي يتحرك على أربعة محاور رئيسة في رباعياته، من جوهر الحب الفطري الصادق، و الكوميديا الساخرة اللاذعة بروح التندر والطرفة، و خبرة السنين وفلسفته في الحياة، ثم العزف على ضياع الحلم و الإتكاء على القدرية والعجز البشري.

وأكثر رباعيات الديوان يتبلور فيها تلك الروح الشفافة الفطرية للشاعر، من الإيمان حد اليقين بماهية الحب وإيمانه بأن الحب هو سر الوجود، أيا كان هذا الحب دون تصنيف أو تحجيم لمفهومه، فمفهوم الحب عنده

واسع يشمل الكون من حبيبة وأهل وأم وصاحب والجنس البشري عامة:

فدادين حنان يا أمي .. مزروعة فوق كفك

بين الحياه و الموت .. واقف أنا في صفك

يوماتي أحلم بطيف .. ملّس على شعري

و المح شعاع من نور .. في الجنة بيزفك.

فقمة الحب عنده أمٌ تسكن وجدانه في الحياة وبعد الموت، وكذلك أهلٌ وجارٌ وعشرةٌ وصاحبٌ يحمل همه ويكون سنده ويجعل للحياة طعم :

هي الحياه دي إيه من غير مودة وحنان؟

و خِلّ يشكي لخلّه لو كان في يوم تعبان

و خلّه ياخد بإيده ويشيل معاه حزنه

ويقول له '' نقسم ما بينا الفرح و الأحزان.

وهو عنده المحبوبة والحضن والرغبة البشرية في حب الجمال والحنين إلى ضلع امرأة :

شميت عطور الحياه في إيديكِ و في جبينك

ألمس إيديك الشمال ... أحن ليمينك

أمانة لو طار فؤادي جراح
من بين ضلوعي وراح
سايق عليك النبي
لتشيله في عيونك.

ولا تخلو عاطفة الحب من لوعة وعتاب، وبروح المحب الشفيق الحاني يعاتب محبوبه في:

مديت إيدي بورده .. ونزعت منها الشوك
و سألت روحك سؤال "عينيا دول وحشوك؟"
الوردة دبلت وإنت لسه ماجاوبتش
لسّاك مصدق عوازلى.. وهم بيغشوك؟!!

الحب عند صبري على هو روح الحياة وإكسيرها الذي لا يمكن أن تكون بغيره، ولا يمكن أن يحيا بدونه المرء، شابا أو كهلا، فهو سر الحياة وروحها :

الحب مش راح يهمه إذا كنت شاب أو كهل
الحب إحساس دفا ويّا الصحاب والأهل
الحب حد يراعيك .. يسكن قلبيه فيك
ويصير معاه الفراق والله شئ مش سهل.

ونرى أن أهم خصيصة تميز فن الرباعيات هى روح الحكمة،التي تختزل خبرات السنين في رباعية قد تكون دامية وموجعة، فهي تقارب وتداني فن الحكم عند العرب، لتختزل خبرات وخبرات في مساحة إبداعية مختزلة، فيجد فيها المتلقي ضالته دون الإسهاب و الإطالة، ويعزف صبري على برباعياته على وتر الحكمة والوجع في:

على عتبة الستين اكتشفت إن السنين بتفوت

ولقيت البدن تعبان وسمعت للقبر صوت

أنا قولت '' يا نفسي يا مغروره ما تتهدي ''

أمانة عليك لتّوبيّ قبل اما بيجي الموت.

والدوبيت الحِكميّ عند صبري علي مغلف برداء لاذع من التبكيت الحزن والتندر والوجع :

أوقات كتير باحس إني مش عايش

مهزوم و مشتت كما توب قديم بايش

نص أفكاري بتتعارك مع نصها التاني

و أقول لقلبي '' حوش '' يقول لي '' مش حايش''.

والرباعيه عنده لسان صدق لحال شعب مقهور، يئن تحت وطأة الحزن وسيف القدر، خاصة طبيعة الشعب المصري الذي من جيناته خصيصة الحزن والشجن ومر الشكوى :

باقف ويّا الحزن ع الناصية يوماتي

عدّى علينا الفرح مره وقال : '' تحياتي ''

راح الحزن متنرفز وقام ضاربه

أنا قولت '' أتاري الفرح غلبان قوي زي حالاتي ''.

ودائما ما تعكس الرباعيات لسان حال الإنسان من البكاء على ذلك العمر الذى ولى من بين يديه وقد سرقته آلة الزمن وهو لا يدري:

حاولت أسابق الزمن .. كان دايما ببيسبقني

و لو صبغت شعري ألمح بياض دقني

بالصدفة قابلني صاحبي م الجامعة و سألني

'' إنت ده معقوله ؟! '' قلت له '' أيوه صدقني.

وتتشعب الرباعية في داخل النفس البشرية بالحس الشعبي، داخل أروقة الإنسان في شتى نواحيه،

obeikan.com

وأكثر ما يتباكى عليه الإنسان ضياع حلمه وعدم تحقيق أمانيه، ولا يختلف فيها القاصي والداني. وتضرب الرباعيات بعمق في التباكي والندم على الأحلام الضائعة، والأماني التي أكلها الزمن ودوبتها السنين، فنرى صبرى على يجسّد لنا تلك المعاناة بدمعة شجن فيها شئ من التبكيت واللوعة :

كان نفسي من صغري أطلع فيلسوف

أغمض عينيا وبحكمة الزمن أقدر أشوف

للأسف غمضت عيني مره ولمّا فتحتهم

لقيت قلبي اتملا قلق و رعب وخوف.

فيالحكمة الزمن وقدريته! وأننا دوما ما نكون ريشة في رياحه وعواصفه :

حاجات كتير في الحياه ما قدرتش أفهمها

ساعات باشوف أحلام كان نفسي أحلمها

والاقيها متحققة بسهولة قدامي!!

وحاجات كتير سهلة ما قدرتش أحسمها.

ومن أهم سمات فن الرباعية، وما جلعها تنتشر وتذيع على نطاق واسع جدا، روح التندر والفكاهة، والطرفة الموجعة التي تغلف الحقيقة و الوجع بالضحكة

الساخرة، فهي تحاول أن تخفف مرارة الواقع برداء من الطرافة الساخرة وإن كانت دامية :

حاربته بكل قوة ولا قدرتش عليه

أخلص من اكتئاب .. القى اكتئاب بعديه

ساعات كتيره أبكي ..

ساعات م الوحده أشكي

ساعات تلاقيني اهيس واقعد أرقص باليه

وكذلك :

كنت عايز أصبّح ... قمت من بدري

كنت عايز أقوله ..، حتّه من شعري

كنت عايز أقوله ..إن ليه وحشة

لكن .. أوّل ما شافني ... على طول طلع يجري.

وكذلك الوجع المُغلَّف بالبسمة المُرة في استحالة تحقيق الفرح والسعادة:

حاولت أفرح ... لقيت الفرح بيكلف

عطور و زينة وصحبة ورد تتغلف

و أما الحزن دا صاحبي وعلى قد الإيد

obeikan.com

أقوله نفرح يقول لي '' إنت متخلف ؟!

لله رفقا يا وجع الغلابة فقد تعبوا!!

ولا يمكن أن تخلو الرباعيات من محاولة رسم البهجة والفرحة، ولو بسمة ظاهرية، ولكنها قد تسعد قلوبا قد تعبت، ولكن الرباعية فن الشعب ولسان حاله :

أعلنته بالحب على يد محضر

و اترجيته بأدب يعطف بقى ويحضر

قال: مانيش جاي .. هو الحب بالعافية ؟!

سألت محامي قال '' روح اعمله محضر ''

وكذلك روح الدعابة التي تتملك الشعب المصري في أحلك المواقف الحياتيه، ولكنه أبدا ما يهزأ ويسخر في :

سألني الطبيب : مالك ؟ قولت ليه '' مصدع ''

سألني أخبار الأمل ؟ قولت له '' اتصدع ''

قال لي ''دواك نظرتين يوماتي في عيونها ''

خليك حريص ع الدوا يا إما هتودع.

إن المتأمل بحكمة ووعي وهدأة روح وفطنة عقل، يستخلص من خلال ذلك العرض البسيط لديوان بسيط

بساطة روح صاحبه (رباعياتي) لصبري على، يعلم السر وراء زيوع وانتشار فن الرباعيات أو الدوبيت في المجتمع المصري، ومنها انطلق إلى حيث أفق عروبي ساعد الإعلام بكل وسائله أن يكون عروبيا لما لسحر الأغنية المصرية، أو لعبقرية فن الكاريكاتير، والبرامج الإذاعية الفكاهية تعرف السر وراء انتشار هذا الفن من عصر رامي، إنه قد جاء متماهيا مع طبيعة العصر الذي نحياه من سرعة حركة على كافة المستويات، وحاجة إنسان ذلك العصر إلى وجبة ذهنية دسمة وخفيفة تعبر عما يلاحقه ويعانيه، وتكون لسان حاله ومستودع آهاته وأحلامه، بتناولها وجبةً سريعةً في خضم حياته الضروس، ضاحكا وساخرا وحالما وثائرا ومتوجعا ومتخذها صرخة وسهما بلاغيا لحكامه و لواقعه وقدره، علّهم يشفقون به و أن يرضوا.